29

الفاجومى

وكلما جاءوا للفرجة علينا تفـــرجت أنا عليـــهم!

- قالوا عنا خارج مصر: إنهم زمجرة الغضب الآتي.
- محمود حسن إسماعيل قال لي: أنت شاعر..

فوقفت أمامه «زي الجحش».

- الظاهره الشيطانيه اللي برزت فجأه من تحت بيت متهالك في حارة حوش آدم.

■■■

obeikan.com

obeikan.com

قبل ما نخش فى المعمعه الإعلاميه عـايز أقول إن الصديقين فهمى حسين ومحمد حجى وبمبـادره شخصيـه سبقـوا العاصفه وزارونا فى حـوش آدم عشان يكتـبوا عننا مقاله فى مجله صباح الخير تحت عنوان "الحاره المصريه تغنى لجيفارا".

يومها استمتعت برسومات حجى الجميله... رسم المكان بما فيه ومن فيه.

كان موجود فؤاد قاعود ومحمـد على ومحمود اللبان والشيخ إمام وأنا... حسب رغبـة حجى فـضلت أنا للآخر.. ولما قـعدت قدامـه عشـان يرسمنى مـاركزتش زى عوايدى... فقال لى:

- يا أبنى أهمد شويه خلينى أعرف أرسمك دنا بارسمك بتحيز.

وكتب الأسـتاذ فهمى حسـين عن المكان العجيب اللى طلع من أحشـائه الصوت اللى غنى فى رثاء جيـفارا العظـيم ولما استـعـرض سكان المكان قـال عن شخـصي الضعيف- ومنهم الشـاعر أحمد فؤاد نجم غزير الإنتـاج الجيد قليل الحظ مع هذا فى فرص الذيوع والانتـشار - أنا بس حبيت أسـجل الوقعه دى عشان كـل واحد ياخد حقه.

نرجع لموال المعـمعـه الإعلامـيه والشـهره اللي هـبطت علينا في أعقـاب الزياره الميمونه اللي كرمنا بيها الأستاذ رجاء النقاش وصحبته.

أصـوات مـختلطـه صدرت عن كل قـنوات الإعلام المرئـي والمسمـوع والمقـروء والرادار والأشعه فوق البنفسجيه.

كله بيتكلم عن الظاهره الشيطانيه اللي برزت فجأه من تحت أنقاض بيت متهالك في حاره حوش آدم يحمل رقم ٢.

ناس كانت مع.. ناس كانت ضد ومـحسوبك آخر استهبـال راسم العبط وعمال

أتفرج على دول ودول.

كل رموز الثقافه والفن والإعلام تقريبًا.. يإما جم يتفرجوا علينا في حوش آدم يا إما سـحبـونا على أرضهم في السـهرات الخاصـه وكله كان بيـتفـرج وهو مدهوش وعشان كده ما حدش فيهم خد باله مني وأنا باتفرج عليهم!

لكن على أي حال الأمـر ما سلمش من مكاسب شخـصيه عظيمـه للعبد الفقـير مثلاً..

بعد حفله نقابه الصحفيين الأولى قال لي الأستاذ رجاء النقاش:

– دا محمود حسن إسماعيل معجب بيك جدًا وعايز يشوفك.

أنا ما صدقتش وداني.. قلت له:

– محمود حسن إسماعيل مين؟

قال لي:

– الشاعر.

وبدأت أكلم نفسي:

– محمود حسـن إسماعيل معجب بى أ نا؟ يا خرابى يا أمه.. شـاعر النهر الخالد العظيم اللى كـنت مجـرد مـا أسـمع اسـمـه بدنى يتلبش وأحس كـأنى واقف قـدام مقصوره سيدنا الحسين طالب الصفح والرضا!

أنا صحيح عمرى ما شفته ولا فى الصوره لأنه ما كانش من نجوم الإعلام لكن أنا رسمت لـه صوره فى خيـالى.. فارس ملثم وممـتطى صهـوة حصان عـربى من نسل الأدهم حصـان عنتر العبسى فـارس الفرسان وقـاهر الشجعان وكـانت الصوره دى بتبقى قدام عنيا كل ما أسمع عبد الوهاب يغنى له:

نحن شعب عربى واحد

ضمه فى حومة البعث طريق

الهدى والحق من أعلامه

وإباء الروح

والعهد الوثيق

أذن الفجر على أيامنا

وسرى فوق روابيها الشروق

●●●

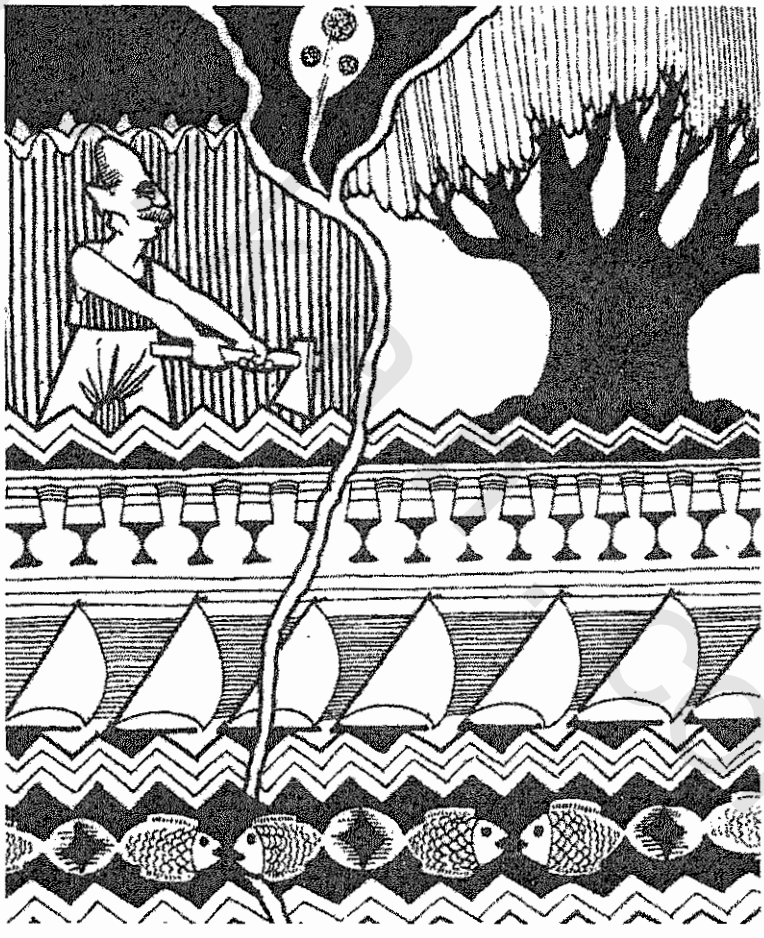

قلت لرجاء:

- إنت بتشوفه يا أستاذ رجاء؟

ضحك وقال لي:

- أيوه وهو عايز يشوفك.

قلت له:

- إمتى؟

قال لي:

- زى ما تحب.

قلت له:

- أحب حالاً.. دلوقتى.

قال لي:

- خلاص بكره نروح له المكتب

•••

تانى يوم كنا عنده فى المكتب وما حدش يسألنى المكتب كان فين؟

لأنى وأنا ماشى مع الأستاذ رجاء مـا كنتش شايف السكه.. أنا كنت عمال أرسم فى عقل بالى صوره اللقاء.. وفجأه لقيتنى وجهًا لوجه مع شاعر النهر الخالد.

ما أقدرش أقـول إن صورة الواقع كانت مطابقـه لصوره الخيال.. فى الخـيال كان ملثم فما شفتـش ملامحه وكان راكب حصان فما قـستش طوله وعرضه لكن هنا فى المكتب كـان إنسان عـادى شعره الكثـيف المجعـد الأبيض كان نايم عـلى ورا ووشه النحاسـى الممصوص كـأنه تمثال فـرعونى اندفن فى طمى النيل وطلـع اتحمص تحت شمس أسوان الملتهبـه.. أول ما بصيت فى وشه افتكرت:

على صهد الأرض السمرا

وأنا أبوى النيل سوانى

ممصوص وخشن من بره

زى الطينه الأسوانى

والخضره في جلبى وجلبى

دايمًا على طرف لسانى

فقت من سرحانى لقيتنى فى حضنه وهو بيردد جمله لسه مش فاهمها لغايه دلوقتى.. كان بيقول:

– هذا شاعر يا أستاذ رجاء.. ناشدتك الله هذا شاعر.. كررها أكثر من مره وأنا واقف زى الجحش مش فاهم حاجه.. لكن صوره اللقاء ده فضلت محفوره على صفحة قلبى.. وجرى ما جرى ودخلت المعتقل وخرجت منه ودخلت تانى وخرجت ثالث ودخلت رابع وهكذا إلى أن جانى خبر موت الشاعر الفارس محمود حسن إسماعيل فى الغربه.. مات فى الكويت ياولداه! ما تعرفش كان هناك فى شيخوخته بيعمل إيه؟ بيحسن دخله ولا هربان من الجحود والتجاهل والقهر اللى شافه هنا.. هنا فى مصر وعلى شط النهر اللى غناه و غنى له..

الغريب فى أمر محمود حسن إسماعيل إنه عاش فى وطنه غربه العصافير وهاجر منه هجرة العصافير وفى المهجر مات موته العصافير.

انقطع التيار الكهربائى فجأه واتعطل جهاز التكييف.. وفرفر عصفور النيل الأخضر ومات.. مات عطشان فى الصحرا!!

●●●

ما تقـولش هو دمل وانفقع! يا سـبحـان الله.. كان فيـه دا كله؟ هى مجـرد إشاره وصدرت عن أبصر مين.. ودول قالوا:

- خد عندك.

مطر مقالات ودراسات وريبوتاچات صحفيه نزل يرخ يرخ على قرعة بنت أخت القـراء العرب: بخـصوص الثـنائى اللى ظهر فـجأه فـى حوش آدم ناس قـالوا علينا ظاهره. وناس قـالوا لا دا الرد الشـعبى على الـهـزيمه العـسكريه وناس سـمـونا "الإرهاصه" وناس سـمونا "المخاض" دا الكلام دا هنا فى مصـر.. خد عندك بقى فى الوطن العربى السعيد فى تونس والمغرب كان اسمنا- الشجب التحتى!- وفى سوريا ولبنان كـان اسمنا. صـوت نقمـه الجمـاهير- أمـا فى الشقـيق العراق ودا اللـى كان عاجب الشيخ إمام جداً" فكان اسمنا زمجرة الغضب الآتى.

لأومين بقى اللى كـتب؟ مثـلاً.. الدكـتور فـؤاد زكريا رئيـس تحرير مـجله الفكر المعاصر- آنذاك- والأستاذ محمـود أمين العالم رئيس مجلس إداره دار أخبار اليوم- آنذاك برضه- والدكتور حسن حنفى والدكتـور لويس عوض والأستاذ كامل زهيرى نقيب الصحفيين والأستاذ عبد الرحمن الخميسى والأستاذ محمود السعدنى والأستاذ جلال السيد والأستاذ محمد تبارك وكله تقريبًا كان.. آنذاك!

.. الوحيد اللى ما كنش - آنذاك- هو الفلاح الفـصيح عمدة مصطبة الكلام وعم المتكلمين وبر الأمان لأى فلاح فـصيح شايف وخايف وعايز يفـضفض بالكلام يقوم يروح يرمى حمـوله على كتـاف شيال الحـمول وقطب الرجال، عـبد الفتـاح الجمل، فلاح النيل الفصيح.

.. الراجل ده ما انجرش ف الزفه الأولانيه.. فـضل ساكت لحد ما المراكب اتحرقت وكشـروا لنا عن أنيابهـم ولفقوا لنا قـضيـه المخدرات. راح كـاتب عمود فـى جريده المساء اللى كـان هو رئيس تحريرها بيشد علـى إيدينا ويقول لنا أنا معاكم ومـعايا كل ولاد مصر الطيـبين وبيقول فى نهايه العمـود- ياعمنا الشيخ إمام ويا فتى الفـتيان نجم أشد على أيديكماوأحيى فيكما العناد.

تصدق بإيه إن العمـود ده ونسنى- آنذاك- وكأنه كتيبه صواريخ بتـحمينا.. نرجع بقى للزفه الأولانيه.

آنذاك كانت مجله الكواكب فى مقدمه الموكب وحصلت على سبق صحفى عباره عن حفل ساهر حتنظمه فى نقابه الصـحفيين للثنائى اللى ملا الدنيا وشغل الناس مع الاعتذار الشديد لعمنا المتنبى... وفعلا اتحدد مـوعد الحفله وكانت الدعوه عامه كمان قررت مجله الكواكب إقامـه معرض لتماثيل الفنان التلقائى مـحمود اللبان بمبنى دار الهلال.

وحكايه تلقـائيه محـمود اللبـان بدأت بعد محـمد جاد مـا رجله خدت ع الحـته ويوميًـا عامل السـكه قياسـه، ورايح جايْ الخط زى تـرماى المدبح وذات مـره شاف محمود اللبان بيعمل لنا منقد لزوم القعـده...كان يجيب صفيحة السمنه التلاته كيلو ويقصهـا نصين ياخد النص ويجيب كوز سلمون مـفتوح من الناحيتين ويركـبه فوق ويثبته بالجبس يقـوم يبقى مدخنه ويكسيها جبس م الجنبين فتبقى شـبيهه بالضريح أبو مادنه وفتـح لها هوّايه من تحت تجبد الهـوا على فوق يخلى الفحم آخر صـهلله! قوم إنت يا عم محمد يا جاد انسطل وافـضل برق فى المنقد حبتين وروح صارخ فى وش محمود اللبان لبش جتته أكثر ما هى متلبشه:

- إيه ده؟ دافن تشكيلى!.. يخـرب بيت أبوك يا مـحمـود يا ابن الكلب.. وقـبل محمود مـا يستوعب الصدمه كـان محمد جاد ضارب إيده في جيب السويتر الجلد البنى ومطلع جنيه- يدبح الفرخه- أيام ما كان الجنيه جنيه- وقال له:

- الصبح تعمل لى واحد زى ده..

■■■